

•• دراسة ••

## نجيب محفوظ .. والشك الديكارتي

فتحي سلامه

عالم واسع ، ذلك هو عالم نجيب محفوظ ، لا أدري كيف أفتحه ، ولا أدري كيف أحشر نفسي حشرا وسط تيارات رواياته العاصفة ، وتيارات أكثر سرعة وهي تيارات الكتابة عن تلك الروايات •• لقد نجح نجيب محفوظ فيما أراد أن يكون •• ولكنه ترك نفسه للهوى والريح ، وأصبح نجاحه مثل القمر الصناعي ، يحاول كل اتجاه أن يلتقطه ويلتقط ارساله ، وهو قمر جموح ، سريع لا ينظر الى من يحاول التقاطه أو التقاط ارساله •

انه يبذل فنا ، وينشئ عالما من الروايات ، يتهمه ناقد كبير بأنه روائي برجوازي ثم لا يمضي على ذلك عدة سنوات حتى يعلن هذا الناقد نفسه ، أن نجيب هو الروائي الماركسي النموذجي ، يتهمه ناقد آخر بالانحياز للوفد ، ثم يصفه في مقال آخر بأنه مؤسس الحركة الفكرية الجديدة ، يصنعون له معطفا ومن هذا المعطف يخرج جيل جديد يكتب القصة والرواية ، ومن قبله لم تكن الرواية ، ولم تكن القصة •• يخلقون حوله الأساطير يكتبون ، ويقولان ، •• وهو لا يؤيد ولا يعارض ، انما يكتب ويكتب ، بانتظام وكان كل هذه التفسيرات وكل تلك ( المعايير ) لم توقفه ، كما انها لم تخنقه ، فهي ان حاصرته تملص منها واندفع ليكتب •

لم يحظ روائي مصري بمثل ما حظي به نجيب محفوظ عشرات رسائل الدكتوراة حول أدب نجيب محفوظ ، مئات الكتب حول نجيب محفوظ ، آلاف الندوات حول نجيب محفوظ . . لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله . . وهو لا يد يقرأ كل هذا ويتأثر بكل هذا ، ومع هذا . . يحافظ على نفس اندفاعه المنظم . . الدقيق . . لكى يصل الى شىء ما . . يسألون وهو يجيب ، يجلسون حوله وهو يبتسم فى ود ، من يشتم الحكومة ومن يؤيد الحكومة من يتباهى بالماركسية ومن يسبها . . الجميع من حوله يثرثرون وهو يبتسم ، اتطلع اليه ، أهديته روايتى الثانية ، قالوا لى . . الذين يتحلقون حوله - انه يسرق أفكارنا وسوف يسرق أفكارك ، بل ربما أخذ الرواية كلها وخطها من جديد ، أيامها خرجت أكثر من دراسة تحاول أن ترجع أصول رواياته الى جذور إيطالية ، . . ابتسم ، وقف ، أخذنى الى مكان أهدأ ، تحدث معى حول روايتى ( الجرار رقم ٣٥ ) كان يتحدث فى حماس ، وقال كلاهما كثيرا . . للأسف ضاع منى من شدة خجلي ، كان مديحا حتى تحول الى طنين هائل ودغدغ عقلى فلم أتبين بقيته ، ومع هذا حاولت أن أتبع رواياته لعل أرى فيها بعضا مما أخذه منى ، لم أجد . . هل كانوا يبعدون عنه تلامذته المخلصين ؟ . . ربما ! وظل نجيب محفوظ يجلس مستمعا يبتسم فى ود ، ثم ينصرف وقد قال كل منهم ما أراد أن يقوله . . انه مصر ، مصر القلب الكبير الذى لا يعصف به الهوى . . هوى الحب أو هوى الكراهية لا تكدره رياح الظلم ولا تغويه رياح النفاق . . لهذا أحببته ، ولهذا - أيضا - احترت فى الطريقة التى أستطيع بها أن أبحر فى عالم نجيب محفوظ الواسع الممتد !

( أتعلم ما الذى جعلنى أستمر ولا أياس ؟ لقد اعتبرت الفن حياة لا مهنة ، فحينما تعتبره مهنة لا تستطيع الا أن تشغل بالك بانتظار الثمرة أما أنا فقد حصرت اهتمامى فى الانتاج نفسه وليس بمأورا الانتاج - عدد يناير من مجلة الكاتب ) .

فكرت فى أن لا أكتب عنه . . ولكنى ما تصورت أن يكون هناك دراسة حول الرواية المصرية وخالية من الاشارة الى نجيب محفوظ ، ولكن بأى حجم تكون هذه الاشارة . . لهذا سوف أعتبر هذه الدراسة ، أو هذه الاشارة . . مجرد خواطر تلميذ يحاول أن يفهم شيئا من تعاليم أستاذه فاننى وكما قلت . . أحاول أن أتعلم من دراسة الروائيين العظام بعض فنونهم ، وان دراستى دراسة روائى ناشىء لروائيين عمالقة ، ومن هذا المنطق سيكون حديثى عن نجيب محفوظ وبقيّة جيل الفرسان الأدباء . .

وسوف أوجز ملاحظاتي حول رواية نجيب محفوظ في النقط  
التالية :

أولا : امتداد فكرة تواصل الأجيال من زينب هيكل الى ملحمة  
الحرافيش ، مخترقة أعمال طه حسين متداخلة في كل أعمال نجيب محفوظ ،  
وهي فكرة ( مصر أولا ) أنك تشعر من خلال قراءة أعمال نجيب محفوظ أنه  
فيلسوف ملتزم بتطبيق قانون ( الشك الديكارتي ) . . . ويطبقه على مصر . .  
أنه يسأل بداية من (عبث الأقدار) (١٩٣٩) الى ملحمة الحرافيش (١٩٧٨)  
التي صدرت هذا العام .

نفس السؤال . . كيف تكون مصر . . الأفضل والأحسن  
بين الأمم ؟

ذلك ان عبث الأقدار التي تدور حول : فرعون يلتقي بعراف يخبره  
العراف بأن خليفته لن يكون من صلبه ، وانما سيكون ابن الكاهن الأكبر  
رع ، ويجري فرعون يتخذ كل التدابير مستخدما جيشه لكي يخمس  
أنفاس هذه النبوءة ، ولكن الطفل لا يموت ، حتى يحقق نبوءة ، العراف ،  
ويصل الطفل بعد أن يكبر الى كرسى العرش .

و ( عبث الأقدار ) تدور حول فكرة الصراع بين القوة والقدر ، بين  
الارادة الفردية للحاكم وبين الحتمية القدرية . . وإذا حاولت معرفة أصل  
هذه الفكرة ، نراها تأخذ جذورها من ذلك المفهوم العام ، ( المكتوب على  
الجين ) . . ومع هذا فانها أولى البذور الفكرية عند نجيب محفوظ التي  
استنتبتها بعد ذلك في رواياته بعد ذلك .

وهي الأفكار التي تدور حول ( كيف يكون الحكم في مصر ) . . كيف  
نجعل مصر بلدا سعيدا ؟ . . أليس هذا الموضوع نفسه هو موضوع  
الحرافيش !! وان اختلفت الصور وتغيرت العبارات !

ان نجيب محفوظ الذي بدأ حياته كاتباً للمقال الفلسفي ، ودارت  
مقالاته حول ، ( تطور الظواهر الاجتماعية ) و ( ما معنى الفلسفة )  
و ( فلسفة برجسون والادراك ، والحواس ، واحتضار معتقدات وتولد  
معتقدات ، والبراجماتيزم ، والسيكولوجية . . ومعظمها نشر في المجلة  
الجديدة التي كان يصدرها سلامة موسى ما بين أعوام ( ٣٠ - ١٩٣٤ )  
ومراجعة هذه المقالات والموضوعات الفلسفية الاجتماعية التي ناقشها نلاحظ  
ان هذه ، الأفكار التي حاول نجيب محفوظ أن ( يثور ) بها على واقع الفكر  
المصري هي نفسها الأفكار الفلسفية التي جاءت بعد ذلك في رواياته وان

التيار المصري الذي نبناه أحمد لطفى السيد ، وتلقفه تلامذته من أمثال هيكل وطه حسين وسلامه موسى ، أثر في ( التفكير الاجتماعي ) عند نجيب محفوظ . . وبذلك نستطيع أن نقول أن نجيب محفوظ الذي ولد في عام ١٩١٢ في حي الحسين ، وتلمذ في ( الكتاب ) وعاصر أحداث الثورة المصرية المطالبة بالاستقلال ، كان لابد أن ينشغل فكره بمصر ، كما انشغل فكره بعائشة التي أحبها وهو ما يزال طفلاً و . . وذات يوم تطايرت ألواح الصفيح التي كنا نكتب فيها بعد مشاجرة كلامية بين بعض التلاميذ ، وتعالى الصراخ والصياح ، وسالت الدماء بغزارة ولاذ الجميع بالفرار ، ما عدا تلك الفتاة التي لم تغادر مكانها ، لم ترهبها ألواح الصفيح المتطايرة ، وبقيت متماسكة ، رابطة الجأش ، ولا تزال صورة ما حدث حية في ذاكرتي الى الآن . العدد ١٨٦ من مجلة عالم الفن ) . ألا نذكرنا صورة عائشة بصورة مصر في روايات نجيب محفوظ ، وصور السيدات اللاتي حاولن الصمود في رواياته ؟ !

نلاحظ هناك ان ( قضية مصر ) كيف تكون ؟ هي القضية الأولى التي شغلت بال نجيب محفوظ ، وأعتقد ان سر وجود أجيال تتواصل في أعمال نجيب محفوظ يرجع الى هذا المعتقد الذي تولد عنده من إيمانه الأكيد بأن التجربة لا يمكن أن تتوقف على جيل واحد ، لهذا نلاحظ تعدد الأجيال سواء في ( عبث الأقدار ) أو في آخر أعماله ( ملحمة الحرافيش ) .

وتعدد الأجيال وتواصلها يظهر أكثر وضوحاً في الثلاثية ( بين القصرين - قصر الشوق - السكرية ) والتي نشرت بالترتيب أعوام ٥٦ - ١٩٥٧ وكان قد كتبها ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٤ ، ولعل اتجاه نجيب محفوظ الى الرواية التاريخية بعد المقال الفلسفي ، وتحوله من ( الفلسفة ) الى الإبداع الروائي يفسر لنا احساس نجيب محفوظ بأهمية دور المثقف المصري في تطوير وانماء الحركة القومية المصرية التي كان ينادى بها في ذلك الحين أحمد لطفى السيد وتلامذته وما أعقب ذلك من انهاض للحركة المصرية .

ولنجيب محفوظ الذي تأثر دون شك بتجربة هيكل في رواية زينب ، رواية لم تنشر هي رواية ( أحلام القرية ) ولا شك ان تشابه اسم الرواية مع موضوع رواية زينب يعطينا الدليل على هذا التأثير ، كما يعطينا - وهذا ما يهمنا هنا - الدليل على تواصل الأجيال في الرواية المصرية بحيث يشعرونا ان هناك تياراً من التواصل الفكري بدأ مع زينب ووصل حتى ملحمة الحرافيش - أي ثلاثة أرباع قرن من الإبداع الأدبي الروائي المتواصل .

كما ان التحول من ( أحلام القرية ) وهى الرواية التى لم تنشر الى الكتابة التاريخية دليل على الاهتمام بمصير مصر ، فهو يدرس التاريخ أولا حتى يستفيد من خبرته لكي يكتب عن الحاضر والمستقبل رغم ان نجيب محفوظ نفسه اعترف بأنه كان يود الاستمرار فى الكتابة التاريخية ( ٠٠ هيات نفس الكتابة بتاريخ مصر القديم كله فى شكل رواى على نحو ما صنع وولتر سكوت فى تاريخ بلاده ، وأعددت أربعين موضوعا لروايات تاريخية رجوت أن يمتد بى العمر حتى أتمها ، وكتبت ثلاثا بالفعل هى ( عبث الأقدار ) و ( رادوبيس ) و ( كفاح طيبة ) ٠٠ وبقي ٣٧ موضوعا جاهزا للكتابة ٠٠ وفجأة اذا بالرغبة فى انكتابة الرومانسية التاريخية تموت فى نفسى وأجدنى أتحوّل الى الواقعية فى ( القاهرة الجديدة ) ٠٠ بلا مقدمات )

جائز ان لا يشعر الروائى بالسبب المباشر لتحوّله من المرحلة التاريخية الى المرحلة الواقعية ولكن هو بالتأكيد تحول ارادى ، أملاه عليه طبيعة الدور الذى يريد أن يلعبه ٠٠ وان لم يكن قد اقترب به ، ذلك ان الدور التاريخى قد دى دوره فى تشكيل خريج الفلسفة الذى يجيد لعب كرة القم والسباحة ويختلط فى حياء مع شلة من الأصدقاء قليلة العدد ، يخاف من الغارات يجرى نحو أمه اذا سمع صوت المدافع صائحا ( يا نينة المدافع ٠٠ فى الجنينة ) حتى ان أصدقاؤه كانوا يقضون بها وينتظرونه ( ٠٠ وصار أصدقاؤى يغيظوننى ويعايروننى بها مدة طويلة ) كان على خريج الفلسفة أن يخرج الى العالم وهو مؤهل للدور الذى يجب أن يلعبه ، لهذا وجد فى التاريخ معلما جليلا واسع المعرفة كبير الادراك ٠٠ فتعلم لى يواجه الواقع يقول نجيب محفوظ ، لى يبرهن على أن تحوله الى الأدب كان تحولا فجائيا :

( وأشهد لوجه الحقيقة والتاريخ ان الدكتور أدهم - الدكتور على أدهم رئيس قسم بكلية طب القاهرة - له فضل كبير فى توعيتى أدبيا ، هذه حقيقة أعلنها على الملأ لأول مرة بلا مجاملة ولا افتئات على التاريخ ذلك أننى كنت قد تخرجت فى قسم الفلسفة فكانت دراسات فلسفية بحثة . ولم أهتم الى أننى أديب الا بعد عامين من تخرجى ، هناك كان على أن أبدأ بداية جديدة ، أتثقف فيها ثقافة أدبية منهجية ٠٠ لذلك لجأت اليه ليعرفنى على الدراسة الأدبية الانجليزية الحديثة ) ومن خلال الكتب الانجليزية تعرف على الروائى الانجليزى وولتر سكوت ٠٠ وراح يقلده ٠٠ سكوت كتب تاريخ بلاده فى رواياته ٠٠ ونجيب أراد أن يفعل ذلك وبدأ بالعهد الفرعونى ٠٠ ولكن اندماج الفيلسوف الباحث عن الحقيقة ، ودارس التاريخ

أدى الى تكوين المصلح الاجتماعى . لهذا كانت أول رواياته الواقعية هى ( القاهرة الجديدة ) . حيث الواقع المر للحياة الاجتماعية أسوأ من التاريخ ( وان كان لي الحق فى تحفظ واحد حول هذا التحول الذى أشار اليه نجيب محفوظ . ( فالأديب ) كان كما فى أعماقه والأدب كان داخل نفسه ) .

ومع هذا فان الآراء التى جاءت فى عبث الأقدار رغم انها رواية تاريخية هى نفس الآراء التى ظل ينادى بها نجيب محفوظ وان اختلفت الصياغات .

( . . . وهكذا يخرج القارىء من تلك الرواية - عبث الأقدار - يفيض من مشاعر الحب والاعجاب والتقدير للشعب المصرى فى خلال هذا الحب والاعجاب للبطل الذى هو ابن هذا الشعب ) .

ويلتفت نجيب محفوظ حوله فيجد الوطن وقد كبته قبود الاحتلال ، انه فى عبث الأقدار ينادى بحكم الشعب لنفسه ، ولكن كيف ؟ والاستعمار هو الذى يتولى السلطة الحقيقية ، فيكتب ( كفاح طيبة ) وهى تدور حول حرب التحرير الذى خاضها الشعب المصرى ضد أول غزو فى التاريخ تعرض له من قبائل الرعاة القادمة من الصحراء وهم ( الهكسوس ) والتي تنتهى بانتصار الشعب المصرى وطرد المحتل ، ونرى هناك ان تطور فكرة ( المصرية ) قد أخذت بصد أكثر نموا وتطورا كما انها أخذت بعدا شعبيا ، فبينما كانت روايته الأولى تدور حول شخصيات ملكية ، وقضية ملكية وهى تولى العرش الفرعونى ، جاءت الرواية الثالثة تعرض موضوع حرب تحريرية يخوضها الشعب كله .

وقد حاول بعض النقاد ارجاع فكرة كتابة الرواية التاريخية عند نجيب محفوظ الى عدم احتكاكه بالجمهير فهو لم يكن قد تخرج بعد من الجامعة أو قد مضى على تخرجه فترة وجيزة ، وعندما عاش الجماهير تحول الى كتابة الرواية الاجتماعية وهو فى رواية ( القاهرة الجديدة ) والتي حاول فيها تصوير المجتمع المصرى والتي كتبها خلال عامى ٣٨ ، ١٩٣٩ وهى الأعوام التى تدخل ضمن ( فترة الأزمة ) ولكنى أعتقد ان هذا رأى مخالف للحقيقة . ذلك لأنه مخالف لرأى نجيب محفوظ نفسه . . . ومخالف - أيضا - لطبيعة الأشياء ويهدف - أخيرا ، الى إخضاع نجيب محفوظ لتيار سياسى بعينه . ونحن نرى - بالاضافة الى ما سبق قوله - ان تحول نجيب محفوظ الى الرواية الواقعية الاجتماعية ، تحول ارادى بعد أن أنهت المرحلة التاريخية دورها بالنسبة لنجيب محفوظ .

وهكذا ظلت مصر فى قلب وعقل نجيب محفوظ وان ظل اشسك.  
الديكارتى يورقه ، نهذا نراه وهو يدخل الى عوالم رواياته المختلفة . يقلب  
النظر فى الامر من جميع الوجوه . فهو سواء فى خان الخليلي ( ١٩٤٩ ) ،  
أو زقاق المدق ( ١٩٤٧ ) أو فى السراب ( ١٩٤٨ ) أو فى بداية ونهاية  
( ١٩٤٩ ) يحاول اقتحام المجتمع من الداخل وبعد أن تعرض فى عبث  
الأقدار ( ١٩٣٩ ) وفى ( رادوبيس ) ( ١٩٤٣ ) الى الشخصيات الملكية ،  
نراه يدخل الى حارات المجتمع ، مؤمنا بأن مصر تكمن فى الحارة بل تكمن  
فى الأسرة . . . واذا كان هيكل دخل الأسرة الريفية وطه حسين دخل عن  
طريق ( شجرة البؤس ) ( ودعاء الكروان ) واقتحم العادات المصرية والتقاليد  
وأخذ ينقب جدار الصدر المصرى لمغفوفة ما فى داخله . . . فان نجيب محفوظ  
فعل نفس الشيء . . . وثقب الحارة المصرية وراح مع زقاق المسدق وبداية  
ونهاية . . . يقتحم الصدر المصرى باحثا عن حقيقة هذا الانسان . . .  
المصرى !

وتطور هذا فى الثلاثية ( بين القصرين ، وقصر الشوق ، والسكرية )  
. . . يدخل الى أهم شخصية مصرية كانت هى الكاهن الأكبر لسرع أيام  
الفراعنة ، وكانت ( رادوبيس ) وكانت ( أحمس ) فى كفاح طيبة . . . انها  
الأب فى الثلاثية بذلك التكوين الكلاسيكى للأسرة المصرية التى يفور فيها  
القدر ، يغلى ، يحكمه من فوق قبضة الرجل ، الأب ، الفارس ، المرح ،  
المتسلط وفى القدر تغلى تيارات الماء المغلى وتهب عواصف النجار ، تضغط  
على فوهة القدر المحكم الاغلاق بيد الأب ، ويزيد من اشتعال النار حول هذا  
القدر الذى يغلى نار الاستعمار والحرب وضجيج المعارك على مشارف مصر ،  
كما يضغط عليها تيارات الثقافة الواردة من أوروبا ومن أماكن أكثر تطورا  
وحضارة ، ان الثلاثية التى بلغت حوالى ألف ومائتى صفحة تعرض لتاريخ  
مصر من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٤٤ وقد كتبها نجيب محفوظ ما بين أعوام  
١٩٤٥ و ١٩٥٢ . انها تاريخ مصر ، ألم يقل نجيب محفوظ أنه يود كتابة  
تاريخ مصر مثل الرواى الانجليزى وولتر سكوت ؟ . . . هو هو قد فعلها  
وكتب تاريخ مصر فى وتابعه منذ ثورة ١٩١٩ الى ثورة أكتوبر ١٩٧٣ .

يقول فهمى ، ابن السيد عبد الجواد ، معلقا على ثورة ١٩١٩ جقائق  
تاريخية مؤكدة ، فيقول ( لو لم يسلم الانجليز بمطالبنا لما أفرجه عن  
سعد ، سوف يسافر الى أوروبا ثم يعود بالاستقلال ، هذا ما يؤكده الجميع .  
ومهما يكن من أمر فسيبقى يوم ٧ ابريل سنة ١٩١٩ رمزا لانتصار  
الثورة ) .

أليس هذا تاريخاً لثورة ١٩١٩ - ومن الملاحظ أن نجيب محفوظ انتهى من كتابة الثلاثية في أبريل ١٩٥٢ وقد حاول الكثيرون شرح وتوضيح ما يريد أن يقوله نجيب محفوظ في الثلاثية وقد قال هو نفسه في حوار معه ( ٠٠ ) أعتقد ان فيها وجهة نظر تؤكد تجدها في خط سير معين للأحداث يمكن تلخيصه في كلمتين بأنه الصراع بين تقاليد ضخمة ثقيلة وبين الحرية في مخداف أشكالها السياسية والفكرية ، وتنتهي الثلاثية بعطف معين لا يصعب على أى فارئ ٠٠ ولا أعتقد ان أحدا قرأ الثلاثية دون أن تتركز عواطفه في شيء معين واضح ) .

هذا هو رأى نجيب محفوظ في الثلاثية ، انما المسألة أهم وأعمق من هذا ، انها مسألة تاريخ مصر خلال فترة من أخرج فترات حياتها ، وان كان نجيب ند أراد أن يكتب تاريخ مصر ، فانه قد فعل ذلك في كسل رواياته وخاصة الثلاثية ٠٠ وان كان قد كتب تاريخ التطور الاجتماعى والسياسى الشعبى أكثر منه تطور تاريخ الملوك والزعماء ، ٠٠ وما هو التاريخ الحديث الا أن يكون تطور المجتمعات ؟ لقد شق نجيب محفوظ قلب المصرى القديم واستخرج منه هذا الصبر على النقش على الحجر ، ونقش فى صبر حكيم قصة حياة أسرة مصرية تعيش فى بوتقة التطور النفسى والاجتماعى ٠٠ أليس هذا تطورا لما ذهب اليه طه حسين ٠٠ وسلامة موسى ٠٠ ومن قبلهما أحمد لطفى السيد ؟

أليس الروائى هو الذى يطحن زلط التاريخ ويعجنه ليقدم لنا مادة سهلة القراءة والهضم والفهم أيضا ؟

يتطور بعد ذلك المفهوم العام ، أو الرؤية العامة الفكرة والاجتماعية ، عند طه حسين ٠٠ كيف ؟ لقد توقف الروائى بعد ابريل ١٩٥٢ حيث انتهى من الثلاثية التى نشرت ما بين عامى ٥٦ و ١٩٥٧ . توقف نجيب محفوظ عن الكتابة ليعود فى روايات أكثر ضراوة - لقد أصيب بخيبة أمل حادة ٠٠ ها هي الثورة لم تحقق كل أحلامه أنه يحترمها ويجلها وقد رحب بها وجدانها وتوقف عن الكتابة ، هنا التوقف عن الكتابة يفيد انه روائى فيلسوف لا يكتب بغرض تسلية القارئ انما يكتب بغرض آخر هو ملاحقة التجريب وصولا الى مصر الأفضل ٠٠

ربما ان مصر لم تصبح الأفضل بعد الثورة فانه يتابع الكتابة من جديد ( أولاد حارتنا ، اللص والكلاب ، السمان والحريف ، الطريق ، الشحاذ ، ثرثرة فوق النيل ، ميرامار ) نشرت ما بين أعوام ١٩٥٩ و ١٩٦٧

ثم يتوقف من جديد ٠٠ لقد حدث ما كان يتوقع ٠٠ حدثت النكسة !  
وفي خلال هذه الروايات السبع نلاحظ دخول نجيب محفوظ طورا جديدا ،  
يقول عنه يحيى حقي انه طور ديناميكي محتشد بالانفعالات اعتقد ان سبب  
هذه الديناميكية يرجع الى امرين :

- الأمر الأول طريقة كتابة الرواية حيث كانت رواياته الأولى تحفل  
بالطابع الوصفي - حيث كان يهتم بالزمان والمكان والتاريخ ، ثم ان نشرها  
كان يحتاج الى وقت وجهد ولم يكن نجيب في ذلك الوقت - وقت كتابتها  
معروف ، لأنه مثل منجم الذهب احتاج الى وقت لكي يعثروا عليه  
ويكتشفونه .

- الأمر الثاني ، احساسه ان الزمان والمكان والتاريخ ليسوا هم  
الثورة ، انما الانسان هو الثورة . وهو فكر أقرب الى فكر يوسف السباعي  
وهو أيضا تطوير لفكر طه حسين عند ما عالج بعض جوانب التاريخ  
الاسلامي ٠٠ مؤكدا دور الانسان الفرد .

ثم تبدأ مرحلته الرابعة وهي التي تبدأ من ( المرايا ) والتي نشرها عام  
١٩٧١ ويقول عنها في مجلة عالم الفن ( المرايا أمنية لم أحاول تحقيقها ،  
لقد عشت هذا العصر وحاولت أن أسجل تأملاتي وآرائي في بعض من  
التقيت بهم وعاشرتهم من رجاله ونسائه ) ٠٠ نلاحظ هنا الرغبة في التاريخ  
لم تترك نجيب محفوظ انه يؤرخ لمصر وللأفراد أيضا ٠٠ ويحاول أن يلتقط  
صورة للمجتمع الذي عاشه ورواية ( الكرنك ) تمثل وحدها طورا خاصا  
ومع هذا لاحظنا ان النهج التاريخ كان يمثل شريحة هامة في المنهج العام  
لرؤية نجيب محفوظ ٠٠ بجانب الشك الديكارتى ٠٠ انه الباحث عن  
( وضع مصر ) .

ثانيا : اهتم نجيب محفوظ ، وكان هو الروائي الوحيد الذي يعتبر  
قد طور خط المرأة عند طه حسين ( في دعاء الكروان ) واعتقد ان هذا الخط  
من ايعاز الأستاذ قاسم أمين وأيضا سلامة موسى ، لهذا نرى خط المرأة  
التي لا تنتظر رد الفعل بقدر ما تفعل ، والتي تدفع الأفعال الى التحرك بدلا  
من ايقافها ، ان ايمان نجيب محفوظ بدور المرأة كان ايمانا عميقا يشوبه  
الاحترام والرغبة في العدالة ٠٠ وان كان قد تعرض لموضوعات تخص  
الجنس كثيرا في رواياته ، فانه كان يهدف الى تطوير مفهوم العلاقة بين  
المرأة والرجل .

ثالثا : اعتقد انه رغم كثرة الدراسات التي تناولت أعمال نجيب  
محفوظ ، سواء الدراسات الأكاديمية ، أو الدراسات الحرة لم تحاول دخول

عالم نجيب محفوظ الحقيقي وانه ما يزال رغم تعدد الدراسات - عالما بكرة لم يكتشف بعد ، ورغم الضجة الاعلامية في الوطن العربي حول نجيب محفوظ - فان نجيب محفوظ ما يزال في حاجة الى المزيد من الدراسات الجادة الموضوعية والبعيدة عن الأغراض السياسية ، ذلك ان التيار السياسي حاول الاستفادة بشعبية نجيب محفوظ ، وحاولا ركوب حصانه الرابع ، والادعاء بأنه فارسهم المهاب ، وقد ساعد هو نفسه في زيادة الغموض حول تفسير أدبه ، وذلك بإيمانه الشديد أن دوره الوحيد هو الابداع وليس التعليق وهذه وجهة نظر غاية في الذكاء ولكن الأديب الروائي . . هو قائد أمته قبح أن يكون شبيها آخر ، لهذا نراه يعلن عن الثلاثية في أحاديث كثيرة ومتنوعة وفي مجالات مختلفة في العالم العربي كله . . تعليقات مختلفة بل ومتباينة في أغلب الأحيان يقول مثلا ان الثلاثية تتمسك بوجهة نظر معينة وتحافظ عليها خلال تطور الأحداث ، ما هي وجهة النظر هذه ، هل هي مع الماركسية ، لا يجيب . . فاذا كان المحرر ماركسيا . . أرجع وجهة النظر الى أنها ماركسية وإذا كان غير ذلك فسرهما تفسيراً قومياً آخر . . وهو في كل الحالات يواصل الابداع . . لهذا تجد ردوده في رواياته الجديدة . . هو بالتأكيد ابن الثورة المصرية بكل أبعادها . . ثورة ١٩ ، وهو لهذا يضع مصر أولاً وأخيراً وبداية ونهاية . . وهو يحاول ايجاد النظام الأمثل والأفضل الذي يطبق في مصر . . لهذا نراه يفرد مساحات هائلة من الحوار بين الاتجاهات السياسية المختلفة وخاصة في ميرامار وثرثرة فوق النيل . .

ثم أخيراً - هو أراد أن يؤرخ لمصر . . وهو قد فعل ، سواء في رواياته الأولى ، أو في رواياته الأخيرة . . فاذا كان قبح البداية قد عالج التاريخ الفرعوني . . فانه قد عالج بالفعل في رواياته ابتداء من القاهرة الجديدة وحتى ملحمة الحرافيش . . تاريخ مصر . . التاريخ الشعبي لمصر . .

ابها مجرد دعوة لاعادة دراسة الرواية عند نجيب محفوظ فهو في أشد الحاجة اليها .